نقد كتاب

تذكرة الكاتب

تذكرة الكاتب اسم لكتاب جديد في اصلاح أغلاط المنشئين والكتّاب ألفه الفاضل الأديب المشهور السيد (اسعد خليل داغر) السوري نزيل مصر . وكتابه هذا من خيرة الكتب التي أُلّفت في هذا الموضوع من حيث وفرة مواده . وايجاز عبارته . وحسن دلالته على مواقع الصواب . بعد دلالته على مواضع الخطأ التي بلغت (٤٣٥) موضعاً . وقد ألحقها بفهرست مرتب على حروف الهجاء لتسهيل مراجعتها . كما انه افتتح الكتاب بمقدمة أتى فيها على ذكر مسائل يحسن الوقوف عليها : مثل (لغة الدواوين ولغة الصحف) (لماذا يكثر وقوع الخطأ) (اللغة وسيول اللهجات العامية) (خوارج الأدب وشدة خطرهم على اللغة) الخ ثم وصف مبلغ حاجة بلادنا الى المجامع اللغوية وما تستفيده اللغة العربية من هذه المجامع .

أما خوارج الادب فقد عنى بهم (بعض المردة الذين خرجوا في هذه الايام على نظام اللغة الشامل لجميع علومها وآدابها خروجاً أشبه بشق عصا الطاعة للحكومة او بعقوق الوالدين . والمروق من الدين).

ولقد هالني وصف ما وصفه من أمر هؤلاء المردة ومروقهم من طاعة نظام اللغة وقوانين احكامها . حتى تصفحت ما كتبه في نقدهم ولتتبع هفواتهم فعذرتهم بعلم الله في هذا المروق او العقوق . إذ رأيته قد تحجّر عليهم من اللغة واسعاً . وحرمهم من شهيّ أثمارها يانعاً . وكلفهم من العمل ما لا يطيقون . وألزمهم أشياء لم يسلم منها ولا فحولُ الكتاب المتقدمون

(إنك إن كلفتني ما لم أُطِق ساءك ما سرّك مني من خُلُق)

وها نحن اولاء نذكر من تلك الاشياء التي انتقدها وخوارج الادب عذر فيه ولديهم جواب عليه . وربما بلغ ما لاحظناه على المؤلف نحو الربع من مجموع ما سرده في كتابه من الانتقادات . غير انا اقتصرنا على بعضه . وهذا البعض الذي لاحظناه على المؤلف انما نحتج له بما فعله هو نفسه في كتابه . وذلك ان ما نؤاخذه فيه يدور حول

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلمات كانت تستعمل في اللغة بمعنىً . ثم توسّع المولّدون في استعمالها وأطلقوها على معانٍ اخرى لملابسة او مناسبة . وقد رأينا للمؤلف في كتابه كثيراً من أمثال هذا التوسع في الاستعمال والتسامح في الاطلاق :

من ذلك تعديته فعل (بالى) بحرف الجر (في) مذ قال (لا يبالون في استعمال الكلمات) مع انه انما يتعدى بالباء يقال بالى به كما يقال بالاه

وجوّز استعمال (فسيلة) للتوت وغيره مع انها في الاصل للنخيل .

وجوّز استعمال (نَصَل اللون) إذا تغير مع انه في الاصل لخضاب اللحية .

وجوّز (مسرح) للمكان الذي يمثّل فيه الممثلون مع انه في الاصل (مرعى الدواب)

وجوّز تثنية الجمع فيقال (بلادان) كما قال العرب (التفّ الرماحان) و (التقى العبيدان) ولا يخفى ان ما نُقل عن العرب من هذا القبيل قليل جداً لا يصلح أن يكون قاعدة مطردة .

وقال : التنبيه على (أهمّ الغلطات) يريد الغلطات التي يُهتمّ بها اشدّ من غيرها . مع ان (أهمّ) أفعل تفضيل من فعل (هَمّه الامر) إذا أقلقه وحزنه .

وأجاز (لجان) في جمع لجنة لكونه القياس . مع أن المعاجم لم تذكره .

وأجاز ان يقال (بما انهم عرفوا النحو الخ) مع ان هذا التركيب (بما انّ ...) لا أظنه ورد في فصيح الكلام .

وأجاز ان يقال (فعلَ هذا الأمر كرئيس) ولم يجوّز (بصفته رئيساً) مع ان ما جوّزه لا أظنه مما عرفه بلغاء كتاب العرب .

هذا بعض ما قرره المؤلف وارتضاه من أمر التوسع والتسامح في استعمال الكلمات . وهو حسن جداً نوافقه عليه . لما فيه من خدمة اللغة . وتنمية اساليبها . لكننا نتمنى لو جرى على مسامحاته هذه في نحو مئة موضع مما خطّأ به الكتاب والمترسّلين . كان يحسن قبولها والتسامح فيها قياساً على اشباهها ونظائرها في كلامه هو وكلام العرب وبلغاء الكتاب :

من ذلك انه : انكر صحة اطلاق (المحرر) على الكاتب و (التحرير) على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الكتابة . مع ان (الحُرّ) من كل شيء خياره والتحرير في الكتاب ان يراعي فيه خيار الكلام والمعاني . وكانوا يستعملون التحرير في تجويد الخطّ (١) . ثم توسعوا فيه فأطلقوه على الانشاء (٢) . وهذا عينه وقع في كلمة (الكتابة) : فإن اصل معناها الخطّ باليد . والكاتب هو الذي يخط الكلام لا الذي ينشئوه ويهيئوه في نفسه . ثم توسعوا في (الكتابة) فأطلقوها على (الانشاء) وأطلقوا (الكاتب) على (المنشيء) .

وانكر استعمال (المحاضر والمحاضرة) وقال الصواب (الخطيب والخطبة) مع ان اصل معنى (المحاضرة) إحضار الجواب واجادة الجدَل والمناظرة ثم توسع فيها علماء الادب فأطلقوها (٣) على إحضار الكلام الجيد في المجلس ولو لم يقع جواباً او مناظرةً . الى ان أصبح هذا الاحضار فنّاً (٤) من فنون الأدب . التي تنقسم اليها لغة العرب . وقد ألّفوا فيه الكتب الحسان . وهي كتب المحاضرات المشهورة . والمحاضر في اصطلاح اليوم انما يلقى على السامعين كلاماً في العلم أو الأدب او الفنّ يكون قد هيأه من قبلُ . وقتله بحثاً . وأشبعه نقولاً وشواهد . فالمحاضرة اذن هي ما كان يسميه علماؤنا الأولون (أمالي) لولا ان الأمالي كان يكتبها السامعون في المجلس ولا كذلك المحاضرات اليوم . اما الخطبة فكادت تُخصّ اليوم بما ارتجل من القول

---

(١) راجع معجم الادباء جزء ٢ ص ٢٢٥

(٢) قال الوطواط في رسائله المنشورة في معجم الادباء (جزء ٣ ص ١٧٥) : (صحيفة تفخر حرّرتها يد بيضاء) . وفيه ص ١٠١ (ولقد أراد الوزير المصيري ان يولي السيرافي الانشاء والتحرير فاستعفى . . . . . ثم اخذ السيرافي يحرّر والمصيري يقرأ ما يكتبه) والوطواط المذكور من بلغاء القرن الخامس للهجرة

(٣) قال صاحب الصحاح : حاضرته جالسته والمحاضرة المجالسة ثم اطلق على ما يجري في المجلس من الكلام اهـ

(٤) وعرفه صاحب كتاب (مفتاح السعادة) بأنه (علم تحصل منه ملكة ايراد كلام للغير مناسب للمقام من جهة معانيه الوضعية أو من جهة تركيبه الخاص)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أو هيء من قبلُ لكن لا في تحقيق مسائل العلم واللغة والفنّ . بل في مواضيع سياسية أو إدارية أو اخلاقية او اجتماعية .

وانكر المؤلف قولهم (هو من ألدّ اعدائي) لان (اللدد) شدة الخصومة . واقول : أيخلو عدوّ من خصومة : فانه يكون بين المرء وآخر مسألة يتخاصمان فيها بشدة فهو خصم لدود له ثم يعاديه من أجلها فيصبح عدواً له . وفي طيّ هذه العداوة خصومة ذات لدد . فوصفُ العدوّ باللدود ليس بدعاً من أساليب اللغة ولا غريباً عن تسامح البلغاء في استعمال كلماتها .

وعاب قوله (أعرضتُ عنه على رغم محبتها له) قال إنما يقال (فعلته على رغم انفه) أي بالكره منه ولكن لماذا لا يكون معنى الجملة : ان محبتها ابت عليها أن تعرض عن حبيبها ومع هذا فانها اعرضت عنه على رغم انف محبتها فيكون في الكلام تجوز لطيف

وانكر (صرّح له بالسفر) وقال ان الصواب (أذن له) لأن صرح بمعنى بين وأوضح . نعم ولكنهم يريدون بصرح له بالسفر — أوضح له الاذن بالسفر بعد ان كان الإذن مجملاً غير واضح . فالمفعول محذوف اختصاراً .

وانكر قولهم (فلان يرمي في كلامه الى كذا وكذا) اي يقصد اليه ويعنيه قال لأن كتب اللغة لم تذكره . نعم لم تذكره الا ان اساليب اللغة ترتضيه وتستحسنه لانه من قبيل المجاز والمجازات انما تنقل الينا عن اهل اللسان بأنواعها وكلياتها لا بمفرداتها وجزئياتها

وانكر (المداولة والتداول) بمعنى المشاورة والتشاور . لكن اذا كان معنى (تداولوا الشيء بينهم) أخذه هذا مرة وذاك مرّة فلماذا لا يجوز ان يقال تداولوا الرأي بمعنى تجاذبوه فكان هذا يبديه مرة وذاك اخرى . وهو التشاور نفسه . ؟؟

وانكر (الطلي بالالوان) وقال صوابه الصبغ . لان (الطلي) اللطخ بالقطران للجمال . ولكن ينبغي التوسع في استعمالها كما توسع البلغاء في امثالها

وعاب استعمال (الشقيّ) في معنى المجرم والجاني واستعمال (الاشقياء) بمعنى القتلة واللصوص اذ ان الشقاوة ضد السعادة . ولكن أليس المجرم اللصّ شقياً غير سعيد ؟

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وانكر (تغامزن عليه بالعيون) بداعي انه لا حاجة الى ذكر العيون لان التغامز لا يكون الا بها . وانكاره عجيب إذ ان البلغاء يستعملون امثال ذلك كثيراً وفي القرآن (ذلك قولهم بافواههم) والقول لا يكون الا بالفم

وعاب (الغاوي والغواة) بمعنى الشديدي الولوع بالشيء قال والصواب (هاوي وهُواة) ولا جرم ان من استعمل (الغاوي) في شيء ما لم يرد به الضلال في الدين وانما اراد الغلو في حب الشيء الى درجة الافراط المعيب . على ان (الهوى) قد يستعمل في هذا المعنى الممقوت فيقال فلان من اهل الاهواء ومن اتبع هواه أرداه

وانكر (العشم وتعشَّم) وقال انهما من العامي مع ان العشم معناه الطمع في اللغة الفصيحة . ومن معاني الطمع الرجاء وهو ما يريدونه في العشم والتعشم .

وانكر قولهم (وهذه الجرائم يرتكبها الجناة بينما رجال البوليس موجودون للمحافظة) قال الصواب مع وجود رجال البوليس . مع أن الجملة صحيحة وجواب بينما محذوف دل عليه ما قبله كما يحذف في (اذا) والمعنى بينما رجال البوليس موجودون ارتكب الجناة الجريمة .

وعاب عليهم قولهم (هذا الأمر لا يناسبني) قال لان المناسبة المشاكلة والمماثلة فيكون المعنى (ان الامر لا يماثلني) ومثله ايضاً قولهم (لا يوافقني السير على هذه الخطة) قال لان الموافقة عدم المخالفة فلا معنى لكون السير على الخطة يخالفني . مع أن التركيبين صحيحان على ما فيهما من الاختصار : إذ ان معنى الاول (هذا الأمر لا يماثل الأمر الذي أريده) ومعنى الثاني (السير على هذه الخطة يخالف السير على الخطة التي اريدها) وهو كلام مقبول . ولعمرك ان لغة يعدّ من الفصاحة فيها قول القائل (واخوُ الهموم وساده لا يرقد) اي هو لا يرقد — لجديرة بان يقبل فيها امثال ذينك التعبيرين .

وانكر صحة استعمال (امعن نظره في الأمر) قال ان معنى (امعن) أبعد يقال أمعن في السير إذا أبعد فيه فالصواب أن يقال مكان (أمعن نظره) أطال نظره . مع ان (امعن نظره) في الأمر اذا فسرناه بمعنى ابعده كان في حسن التجوّز مثل (أطال نظره) والمجازات إنما تنقل بأنواعها لا بأعيانها كما مر . غير ان الصواب في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

التركيب ان يقال أمعن نظراً في الامر لا ابعد نظره

وانكر صحة (رَقَّ (١) الماء) قال وانما هو (راق الماء) مع ان الرقة ايضاً مما يصلح ان يوصف به الماء . إذ يكون دليلاً على سلامته من الاكدار والاقذاء .

(لها تتمة)

المغربي